

الراقيّ الإيمانى فى شخصية الإمام السجّاد (عليه السلام)



قال ابن تيمية: (وسارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالْأُولَىٰ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران/ 143-133). فى كلمة للإمام زين العابدين (عليه السلام) - هذا الإمام الذى تمرّ ذكرى ولادته فى شهر شعبان المبارك - وهو يتحدّث عن أحبّ الأشياء إلى نفسه، قال: «ما تجرّعت من جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافئ بها صاحبها». فقد اعتبر الإمام (عليه السلام) أن أحبّ الأشياء إلى نفسه، هو أن لا يبادل الإساءة بمثليها، بل أن يبادلها بالإحسان منه. وهذا السلوك هو الذى طبع شخصية هذا الإمام (عليه السلام)، من بين العديد من المزايا التى اتّصفت بها شخصيته، فقد كان زينا للعبدين، وسيّداً للساجدين لكثرة سجوده وعبادته، وكان محبباً للفقراء، وهو الذى كان يقول (عليه السلام): «اللّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِزِّي عَلَىٰ صُحْبَتِهِمْ بِحَسَنِ الصَّبْرِ». وكان إذا جنّ الليل، وهذأت العيون، ونام الناس، خرج من بيته حاملاً الطعام على ظهره للفقراء كي لا يقضوا ليلتهم جائعين.

ومن المزايا والمواقف التى تميّز بها (عليه السلام) كظم الغيظ، والعفو، ومبادلة الإساءة بالإحسان. وقد برزت هذه المزايا لدى الإمام (عليه السلام) فى تعامله مع مختلف تنوّعات المجتمع؛ مع العبد والسيّد، ومع القريب والبعيد، والحاكم والمحكوم، ليؤكّد الطابع الشامل لها. ومن مواقفه (عليه السلام) مع أحد أقربائه الذى كان يحسد الإمام (عليه السلام) ويحقد عليه، ما دفعه يوماً إلى أن يتهجّم عليه، ويصفه بنعوت مسيئة، وعلى مرأى من أصحابه، فلما انصرف، قال لأصحابه: «لقد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردّي عليه!». وهم لا يشكّون أن ردّ الإمام (عليه السلام) سيكون قاسياً. ولكن فى الطريق، سمعوه يقول: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالْأُولَىٰ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، فعرفوا أن الإمام (عليه السلام) لا يريد ما كانوا يتمنّون. فلمّا وصل الإمام (عليه السلام) إلى بيت ذلك الرجل، خرج متوتّبياً للشر، لكنّ الإمام هدأ من روعه وقال له: «يا أخي، إنك كنت قد وقفت عليّ آنفاً، فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ، فاستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ، فغفر الله لك». كلمات قليلة كانت كافية

